

الابصيرة

شبهات حول الجهاد الإسلامي

الشبهة السابعة:

إنكار فرضية الجهاد لعدم حاجة الله
إلى من يدافع عنه

موسوعة بيان الإسلام

الشبهة السابعة

**إنكار فرضية الجهاد لعدم حاجة الله
إلى من يدافع عنه (*)**

مضمون الشبهة:

ينكر بعض المشككين فرضية الجهاد، وأن يكون الله ﷻ قد أمر عباده المسلمين به، ويستدلون على ذلك بقولهم: إن الله ليس في حاجة للدفاع والذود عنه، ويتساءلون: على أي أساس إذاً يجاهد المسلمون؟!

وجها إبطال الشبهة:

١) إن الجهاد في الإسلام شعيرة عظيمة من شعائره، وقاعدة كبرى من قواعده، بل ذروة سنامه، وإن بواعثه ومقاصده ليس على ما يُشاع عنه أو يتهم به، وقد ثبتت مشروعية الجهاد في القرآن والسنة والإجماع والأدلة العقلية.

٢) لقد أمر الله ﷻ بالجهاد، لا من أجل الدفاع عنه - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - وإنما ليثيب المجاهدين، ويرفعهم أعلى الدرجات والمنازل، ويعلي صوت الحق في الأرض، وقد جعله اختباراً وابتلاءً للمؤمنين، ليتبين الصادق من الكاذب: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد).

التفصيل:

أولاً. الجهاد في الإسلام شعيرة عظيمة:

الجهاد لغة: مأخوذ من مادة "جَهَدَ"، والجهاد:

(*) هذا هو الحق، ابن الخطيب، المكتبة المصرية، مصر، ط ٢، ١٩٧٩ م.

الطاقة والمشقة، والجهاد قتال العدو^(١). وفي لسان العرب: جاهد العدو مجاهدةً وجهاداً.. قاتله. والجهاد: محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل^(٢).

الجهاد شرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق. وأنواع الجهاد متعددة، ومنها: جهاد النفس، جهاد الشيطان وجهاد الفساق، وجهاد الكفار.

١. أما مجاهدة الشيطان: فتكون بعدم طاعة وسوسته، وعدم مجاراته في فعل الشر والأذى للنفس أو للغير، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَنَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة).

٢. وأما مجاهدة الفساق: فتكون باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب؛ لقوله ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيذان"^(٣).

٣. أما مجاهدة الكفار: فتكون بالتصدي لهم بكل طريق.

ووسائل الجهاد الإسلامي متعددة، منها: الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، والجهاد باللسان والجهاد بالقلب، وأفضل هذه الأنواع الجهاد بالنفس والمال معاً؛

١. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، مادة "جهد".

٢. لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة "جهد".

٣. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيذان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيذان (١٨٦).

لأنه يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۖ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣١﴾﴾ (التوبة).

١. الجهاد بالمال:

وهو واجب كوجوبه بالنفس، فيجب الجهاد بالمال على القادر عليه، كما يجب على القادر عليه بالبدن، ولا يتم الجهاد بالبدن إلا ببذل المال، ولا يتصر إلا بالعدد والعدد. فإن لم يقدر أن يكثر العدد وجب عليه أن يمد بالمال والعدة، وإذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى^(١).

٢. الجهاد بالقلب واللسان:

وهما أيضًا في غاية الأهمية فالجهاد بالقلب يحفظ على الإنسان دينه وعمله، ويبقى أمام نظره المثل العليا ظاهرة واضحة لا تحجبها عدم المبالاة والسلبية. والرسول ﷺ يقول: "إن بالمدينة أقوامًا ما سرتهم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم"^(٢).

فهذه المعية هي بقلوبهم وهمهم، إذ كانوا بالمدينة قد حبسهم العذر، فكانوا معهم بأرواحهم وبدار الهجرة بأشباحهم وهذا من الجهاد بالقلب. وفي حديث آخر قول النبي ﷺ: "جاهدوا المشركين بأموالكم

وأنفسكم وألستكم"^(٣).
وأما الجهاد باللسان فيتحقق بإقامة الحججة على الكفار، وبدعوتهم إلى الله ﷻ، وبالأصوات عند اللقاء والزجر ونحوه، وكل ما فيه نكاية للعدو تصديقًا لقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَتَالُوتُ مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا لَا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ ۖ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة: ١٢٠).

ويتحقق كذلك بهجاء العدو، كما قال ﷻ لحسان بن ثابت وغيره من شعراء الصحابة: "اهجوا قريشًا؛ فإنه أشد عليهم من رشقٍ بالنبل"^{(٤)(٥)}.
مشروعية الجهاد:

والجهاد في الإسلام مشروع، ودليل مشروعيته القرآن والسنة والإجماع والعقل.

١. فمن القرآن الكريم:

ثبت الجهاد بآيات قرآنية محكمة منها قوله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْقَهُوا كُرْهًا وَلَا تَعْسَدُوا إِلَى اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُعَسِدِينَ ﴿١٩١﴾﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفَسْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَمَا كُنْتُمْ جَرَاءَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩٢﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٣﴾﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى

٣. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ (١٢٢٦٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو (٢٥٠٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢٥٠٤).

٤. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت (٦٥٥٠).

٥. السلام والحرب في الشريعة الإسلامية، د. محمود محمد الطنطاوي، ص ٢٣.

١. السلام والحرب في الشريعة الإسلامية، د. محمود محمد الطنطاوي، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢١.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر (٤١٦١).

فهذه الأحاديث في فضل الخروج للجهاد والرباط في سبيل الله ﷻ وتجهيز الغزاة ومرتلة الشهداء تتضافر - وما يناظرها - على بيان فضل الجهاد^(٣).

٣. وأما مشروعية الجهاد من الإجماع:

فقد أجمع العلماء على فرضية الجهاد، ويستند جمهور العلماء في قولهم إنه فرض إلى الآيات الكريمة، قول الله تعالى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (التوبة: ٣٩).

والذي جعلهم يقولون: إنه فرض كفاية، وليس فرض عين على كل الناس - قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا كَافَّةً فَوَلَا تَقْرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَسْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٣٢) وقول الله تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤).

والقرآن الكريم بذلك يبين أن هناك أموراً من الممكن أن يقوم بها بعض المسلمين فيغنون عن الكل في فعلها، ومن هذه الأمور تعلم العلم كما في آية التوبة ١٢١، والجهاد في سبيل الله كما في آية النساء ٩٥.

٣. الجهاد في الإسلام، د. أحمد محمد كريمة، مرجع سابق، ص ١١٨.

٤. السلام والحرب في الشريعة الإسلامية، د. محمود محمد الطنطاوي، مرجع سابق، ص ٥٦ بتصرف.

الظَّالِمِينَ ﴿١٣٢﴾ (البقرة). فقد دلت على مشروعية قتال المعتدين، وأن يكون لإعلاء كلمة الله لا غرض الغنم أو لمجرد الاستعلاء في الأرض. وقول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة). فقد جاء لفظ "كُتِبَ" بمعنى فَرِضَ، فالآية الكريمة نص في فريضة الجهاد.

٢. ومن السنة النبوية:

ورد كثير من الآثار والأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ الدالة على مشروعية الجهاد والحث عليه، ومن هذه الأخبار ما يأتي:

• عن أبي هريرة ؓ قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور"^(١).

• وعن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل فقال: رسول الله ﷺ: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله"، قالوا: ثم من؟ قال: "مؤمن في شغبٍ من الشعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره"^(٢).

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٤٤٧)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٢٥٨)، واللفظ له.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (٢٦٣٤)، وفي موضع آخر، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط (٤٩٩٤) بنحوه.

والسنة النبوية العملية فيها الدليل الواضح أيضًا على كلام الجمهور، فالرسول ﷺ لم يخرج قط إلى الجهاد إلا وترك بعض الناس، وهذا ما يؤكد مذهب الجمهور ويرجع كلامهم على من يقول: إن الجهاد تطوع كابن الحسن، وعلى من يقول: إنه فرض عين^(١).

٤. من الأدلة العقلية على مشروعية الجهاد:

إذا كان الجهاد قد شُرع بالدليل القرآني، وأدلة السنة الصحيحة والإجماع، فإن العقل أيضًا يبيح الجهاد، و يقر مشروعيته بوجوه منها:

• الجهاد في الإسلام ذروة سنامه، وسياس مبادئه، وسبيل حماية الدين الحق والأرض والعرض، فهو فريضة كبرى، وشعيرة عظيمة، باقية دائمة، يحقق العزة والكرامة، ويصون الحقوق.

• الجهاد في الإسلام يدفع عدوان الظالمين، ويجهض مؤامرات المعاندين الجاحدين.

• الجهاد ضرورة لا مفر عنه؛ لاختلال طبائع البشر وميلهم إلى الطمع، وجنوحهم إلى الجشع وإيثار بعضهم الظلم، ومعلوم أن النفوس البشرية السوية تأبى الضيم، ولا تقيم على الخسف ولا ترضى بالمهانة، ولا سبيل لدفع عوادي شرور المعتدين بعد استنفاد الوسائل السلمية إلا بالجهاد في سبيل الله ﷻ.

• الجهاد هو الوسيلة الفعّالة للدفاع عن المستضعفين.

• الجهاد في الإسلام يتصل اتصالاً وثيقاً بمكونات الدين الحق، العقيدة والشريعة والأخلاق، وبحرية وكرامة أهل الإيمان، وأتباع الإسلام داخلياً

وخارجياً، فلا بد منه إعداداً وتهيئة واستعداداً وتنفيذاً عند دواعيه وبواعثه للمحافظة على ما سلف.

• الجهاد في الإسلام وسيلة زجر وردع، ووسيلة ترسيخ السلم والسلام، والأمن والأمان.

فلا مناص من الجهاد للحفاظ على أنوار الإسلام في قلوب أتباعه وعقولهم وتصرفاتهم، ضد كيد أعدائه على مدار التاريخ^(٢).

حكم الجهاد:

تكلم العلماء في حكم الجهاد، ونظروا إليه في عهدين:

١. الجهاد في عهد الرسول ﷺ:

ذكر العلماء في حكم الجهاد في عهد الرسول ﷺ عدة مذاهب تلتخص فيما يأتي:

• كان فرض عين.

• كان فرض كفاية.

• كان فرض عين على المهاجرين دون غيرهم، ويؤيده وجوب الهجرة قبل الفتح - على كل من أسلم - إلى المدينة لنصرة الإسلام.

• كان فرض عين على الأنصار دون غيرهم، ويؤيده مبايعتهم النبي ﷺ ليلة العقبة على أن يشوه وينصروه.

٢. الجهاد بعد الرسول ﷺ:

• إذا التقى الصفان حُرِّم على جميع من حضر الانصراف من المعركة، والهروب من ميدان القتال، وأصبح الجهاد عليه فرض عين لا يسقط هذا الفرض

٢. الجهاد في الإسلام، د. أحمد محمد كريمة، مرجع سابق، ص ١٢٧: ١٣٠ بتصرف.

١. المرجع السابق، ص ٢٥: ٣٠ بتصرف.

ثانياً. أمر الله ﷻ المسلمين أن يجاهدوا في سبيله؛ ليثيبهم ويعلي درجاتهم في الجنة؛

أمر الله ﷻ المسلمين أن يجاهدوا في سبيله لا من أجل الدفاع عنه؛ ولكن ليثيب المجاهدين على جهادهم ابتغاء وجهه، وليعلي درجاتهم في الجنة، وليختبرهم أيضاً في سبيل رفع كلمته والإخلاص في الدعوة إليه؛ ليميز الله الصادق من الكاذب، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز.

القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية المطهرة فيها شيء كثير عن تشريف الجهاد والمجاهدين، ورضاء الله عنهم ووجه لهم.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ﴾ (التوبة: ١١١). ويقول الله ﷻ: ﴿بَيِّتْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَى تَحَرُّرِ نَجِيحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُقِيمُونَ ﴿١١﴾ يَقِفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ (الصف).

لقد طلب الله ﷻ من المؤمنين أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله؛ ليثيبهم الجنة، وذكر الشراء على وجه المثل؛ لأن الأنفس والأموال كلها لله تعالى، وكلها عندنا عارية، ولكنه ﷻ أراد

عنه إلا إذا فعله، شأنه في ذلك شأن سائر الفروض العينية، كالصلاة، والزكاة، والحج، وصيام رمضان، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿بَيِّتْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَيَّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ (الأنفال). فهذا يوضح خطر الهروب من ميدان القتال، نظراً لما يترتب عليه من إضعاف القوى المعنوية، وإظهار الخور في نفوس المحاربين، ويكفي هذا الجرم القطيع أن الله يغضب على صاحبه.

• إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهل هذه البلدة قتال الأعداء ودفعتهم والوقوف في وجههم، مهما كانوا في قلة والعدو في كثرة.

• إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير، ولا يجوز لهم أن يتخلفوا عنه، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿بَيِّتْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ (التوبة). وقول رسول الله ﷻ: "إذا استنفرتم فانفروا" (١) (٢).

١. أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الإحصاء وجزاء الصيد، باب لا يجمل القتال بمكة (١٧٣٧)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد (٤٩٣٦)، وفي موضع آخر.

٢. السلام والحرب في الشريعة الإسلامية، د. محمود محمد الطنطاوي، مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧.

التحريض والترغيب.

والأرض أعدت للمتقين^(٢).

المجاهد خير الناس:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غُنيمة له، يؤدي حق الله فيها. ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يُسأل بالله ولا يُعطي به"^(٣). وسئل النبي ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله". قالوا: ثم من؟ قال: "مؤمن في شُعب من الشعاب، يتقي الله وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِهِ"^{(٤)(٥)}.

الجنة للمجاهد:

أورد الترمذي أن رجلاً مالت نفسه إلى العزلة، فسأل النبي ﷺ عنها، فقال: "لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له

"والباء" في قوله ﷺ: ﴿يَأْتِكُمْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ للمعاوضة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ فإنه قَبِلَ العوض عما يملكه بما تفضّل به على عباده المطيعين له، ولذا قال الحسن البصري: بايعهم والله فأغلى ثمنهم.

وقال عبد الله بن راحة لرسول الله ﷺ ليلة العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: "أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوأ به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم"، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ فقال: "الجنة"، قالوا: ربح البيع، لا تُقْبَل ولا نَسْتَقْبِل ونزلت الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ١١١)^(٦)، هذا تفسير الآية الأولى.

أما تفسير الآية الثانية - الصف ١٠: ١٢ - فهي استفهام في اللفظ إيجاب في المعنى، فقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (الصف: ١١) استئناف مُبَيِّن للتجارة، وهو الجمع بين الإيمان والجهاد، والمراد به الأمر، وإنما جيء بلفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال كأنها وجدت وحصلت، وقوله تعالى: ﴿يَقْفَرُونَ لَكُمْ دُونَكُمْ﴾ (الصف: ١٢) جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر.

ويكفي المجاهد شرفاً ومجداً وعلوًّا هذا الفوز العظيم: غفران ذنوبه، ودخول جنة عرضها السماوات

٢. السلام والحرب في الشريعة الإسلامية، د. محمود محمد الطنطاوي، مرجع سابق، ص ٥٤: ٥٧ بتصرف.

٣. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب أي الناس خير (١٦٥٢)، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب العزلة (٦٠٥)، وصححه الألباني في صحيحه وضعيف سنن الترمذي (١٦٥٢).

٤. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (٢٦٣٤)، وفي موضع آخر بنحوه، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط (٤٩٩٤).

٥. فقه السنة، السيد سابق، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٧٠: ٣٧٢ بتصرف.

١. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ج ٦، ص ٦.

يقول: "لا تستطيعونه"، وقال في الثالثة: "مثل المجاهد في سبيل الله كممثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يَقْتَرُ من صلاة ولا صيام، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله" (٤) (٥).

فضل الشهادة:

قال رسول الله ﷺ: "لا يُكَلِّم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم، والريح ريح المسك" (٦).

وقال ﷺ لأصحابه: "لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل عرش الرحمن، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لثلا يزهدوا في الجهاد، فقال الله تعالى: "أنا أبلغهم عنكم" وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٧) فَرِحِينَ يَمَآءَ أَتَنَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ. وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِن خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ (آل عمران) (٧).

الجنة" (١) وفوق الناقة: الوقت بين الحلبتين، أو الوقت بين قبضتي الحالب للضرع.
المجاهد يرتفع مائة درجة في الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يا أبا سعيد، من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وحببت له الجنة"، فعجب بها أبو سعيد، فقال: أعدها علي يا رسول الله. ففعل. ثم قال: "وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض"، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: "الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله" (٢).

وقال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة" (٣).

الجهاد لا يعدله شيء:

ومما يؤكد ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷺ؟ قال: "لا تستطيعونه"، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك

١. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكثيرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٠٧٩٦)، والترمذي في سنته، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الغدو والرواح في سبيل الله (١٦٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٥٠).

٢. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات (٤٩٨٧).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي، وهذا سبيلي (٢٦٣٧)، وفي موضع آخر.

٤. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (٢٦٣٣)، بلفظ: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: "لا أجده"، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٤٩٧٧).

٥. فقه السنة، السيد سابق، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

٦. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله ﷺ (٢٦٤٩).

٧. الروض الأنف، السهيلي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ج ٣، ص ١٨٨.

الجنة، كما أن الجهاد لا يعدله شيء من سائر الطاعات والعبادات، وبالجهاد نحمي الإسلام، ونعلي صوت الحق، ونرد كيد الأعداء.



وقال ﷺ عن الشهداء: "أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت".^(١) وقال ﷺ: "ما يجد الشهيد من مسّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القَرْصَةِ".^(٢) وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "يُغْفَرُ للشَّهِيدِ كل ذنبٍ إلا الدَّيْنَ".^(٣) ويلحق بالدين مظالم العباد، مثل: القتل، وأكل أموال الناس بالباطل، ونحو ذلك^(٤)®.

الخلاصة:

• الجهاد هو بذل الجهد في قتال الكفار، وله عدة أنواع: جهاد النفس، جهاد الشيطان، جهاد الكفار، وأفضل الجهاد هو الجهاد بالنفس والمال. وقد ثبتت مشروعية الجهاد في القرآن والسنة والإجماع وبالأدلة العقلية.

• الله ﷻ أكبر وأعظم من أن يدافع عنه أحد مخلوقاته، فهو غني عنهم، ولكنه ﷻ أمر عباده المسلمين بالجهاد ليثيبهم أفضل الثواب، ألا وهو الجنة؛ فالمجاهد هو أفضل الناس عند الله، ويرفعه الله مائة درجة في

١. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم (٤٩٩٣).

٢. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكثيرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ؓ (٧٩٤٠)، والترمذي في سنته، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل المرباط (١٦٦٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٦٨).

٣. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين (٤٩٩١).

٤. الروض الأنف، السهيلي، ص ٣٧٦.

® في "فضل الجهاد في سبيل الله" طالع أيضًا: الوجه الأول، من الشبهة التاسعة. والوجه الثاني، من الشبهة الثالثة عشرة؛ من هذا الجزء.